﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦﴾ [النّمل: 16]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

العلاقةُ بين علمِ داود وسليمان، وبين الوراثة وعلْمِ منطق الطَّير وكلِّ شيء

لمّا ذكرت الآية السّابقة ما آتاه اللّه داود وسليمان من نِعَمٍ عظيمةٍ على رأسها العِلْمُ في قوله: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ﴾؛ بيَّن هنا وراثة سليمانَ لداود عليهما السلام في أمر النُّبوَّة والعِلْم والمُلْك بقوله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾ الآية.

ومنها: لمّا كانَ كلٌّ مِنْ داودَ وسليمانَ عليهما السلام قد أوتيَ ما ذُكِرَ؛ أشارَ سبحانَهُ إلى فضلِ سليمانَ عليه السلام، بأنَّهُ جمعَ إلى ما أتاه اللّهُ ما منح به أباه، فقال: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾ الآية[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَوَرِثَ﴾: (ورث) كَلِمَةٌ واحِدَةٌ، هيَ الوِرْثُ، والميراثُ أَصْلُهُ الواوُ، وهوَ أَنْ يَكونَ الشَّيْءُ لِقَوْمٍ، ثُمَّ يَصيرَ إِلَى آخَرينَ بِنَسَبٍ أَوْ سَبَبٍ[2]، ويقالُ: ورِثْتُ مالًا عن زيدٍ، ووَرِثْتُ زيدًا، ويُقالُ: أورثَني الميِّتُ كذا، وقالَ تعالى: ﴿كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٥٩﴾ [الشُّعراء: 59]، ويُقالُ لكلِّ مَنْ حصلَ لهُ شيءٌ مِنْ غيرِ تَعَبٍ: قد ورِثَ كذا، ويُقالُ لِمَنْ خوِّلَ شيئًا: أورِثَ، قالَ تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧٢﴾ [الزُّخرف: 72][3].

2) ﴿مَنطِقَ﴾: (نطق) أَصْلانِ صَحيحانِ: أَحَدُهُما كَلامٌ أَوْ ما أَشْبَهَهُ، والآخَرُ جِنْسٌ مِنَ اللِّباسِ[4]، والنُّطْقُ: هو الأصواتُ المُقطَّعةُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 139.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ورث).
(3) الراغب، المفردات: (ورث).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ورث).

الَّتي يُظهِرُها اللِّسانُ، وتَعيها الآذانُ، ولا يكادُ يُقالُ إلّا للإنسانِ، ولا يُقالُ لغيرِهِ إلّا على سبيلِ التَّبَعِ، كقولِهم: النّاطقُ والصّامتُ، يريدونَ بالنّاطقِ ما لهُ صوتٌ، وبالصّامتِ ما ليسَ لهُ صوتٌ[1]، ولا يُقال للحيوان: ناطق إلَّا مُقيَّدًا، والمُراد بمنطق الطَّير في الآية: كلامُهم.

3) ﴿ٱلطَّيۡرِ﴾: (طير) أصلٌ يدلُّ على خِفَّةِ الشَّيءِ في الهواءِ[2]، يُقالُ: تطايرَ الشَّيءُ، أيْ: تفرَّقَ، واستطارَ الفَجْرُ: انتشرَ[3]، واستطارَ الصَّدْعُ في الحائطِ: ظهرَ وانتشرَ[4]، يُقالُ: طارَ يطيرُ طَيَرانًا، وجمعُ الطّائرِ: طَيْرٌ، كراكبٍ ورَكْبٍ، وتطيَّرَ فلانٌ، واطَّيَّرَ، أصلُهُ: التَّفاؤلُ بالطَّيرِ، ثمَّ استُعمِلَ في كلِّ ما يُتفاءَلُ بهِ، ويُتشاءَمُ، والطّائرُ: كلُّ ذي جَناحٍ يَسْبَحُ في الهواءِ[5].

4) ﴿ٱلۡمُبِينُ﴾: (بين) أَصْلٌ واحِدٌ، وهوَ بُعْدُ الشَّيْءِ وانْكِشافُهُ، والبَيْنُ: الفِراقُ، يُقالُ: بانَ يَبِينُ بَيْنًا وبَيْنونَةً، ويُقال: بانَ الشَّيءُ وأبانَ؛ إذا اتَّضحَ، وانكشفَ[6]، والبيِّنةُ: الدَّلالةُ الواضحةُ عقليَّةً كانَتْ أم محسوسةً، والبيانُ: الكَشْفُ عنِ الشَّيءِ، وسُمّيَ ما يُشْرَحُ بهِ المُجْمَلُ والمُبْهَمُ مِنَ الكلامِ بيانًا[7]، و﴿ٱلۡمُبِينُ﴾ في الآية الكريمة الواضح الذي لا مراء فيه.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

سليمانُ وارثُ داودَ، والمُؤيَّدُ بالمعجزات والفضل المبين

بيَّنتْ هذه الآيةُ أنَّ سليمانَ ورثَ أباهُ داودَ ﷺ في العِلم الَّذي منحه اللهُ إيّاه، والمُلكِ الَّذي كانَ خصَّهُ بهِ على سائرِ قومِهِ، وبيَّن سبحانه مظاهر هذا المُلك في قول سليمان ﷺ لقومِهِ: يا أيُّها النّاسُ

(1) الراغب، المُفردات، والسّمين الحلبي، عُمدَة الحُفّاظ: (نطق).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (طير).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طير).
(4) الزمخشري، أساس البلاغة: (طير).
(5) الراغب، المُفردات: (طير).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بين).
(7) الراغب، المفردات: (بين).

فُهِّمْنا كلامَ الطَّيرِ، وأُعطينا مِنْ كلِّ شيءٍ مِنَ الخيراتِ، إنَّ هذا الَّذي أوتينا مِنَ الخيراتِ لهو الفضلُ على جميعِ أهلِ دهرِنا المُبينُ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

علَّةُ طيِّ خبرِ داودَ عليه السلام:

إبرازُ المرادِ وحذف ما سواه، يُراعى فيه السّياق ومعناه

في قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾ طويَ فيه خبرُ مُلْكِ داودَ عليه السلام وبعض أحوالِهِ إلى وفاتِهِ؛ لأنَّ المقصودَ هو قصَّةُ سليمانَ عليه السلام[2].

دلالةُ الواوِ في جملة: ﴿وَوَرِثَ﴾:

وراثةُ الأبناءِ للآباء، استكمالٌ للمسارِ، ومحافظة على الآثار

الواوُ في قولِ الحقِّ جلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾ استئنافيَّةٌ، والكلامُ مُستأنَفٌ؛ لبيانِ أنَّ سليمانَ عليه السلام، قد جمعَ ما أوتيه أبوهُ إلى ما أوتيه هو[3].

دلالةُ التَّعبيرِ بصيغةِ الماضي في الآيةِ:

وقوعُ الأفعالِ وتحقُّقها، يبرز أفضال سليمان وداود ودلائلها

جيءَ بالأفعالِ في قولِهِ تقدَّسَتْ أسماؤُهُ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍۖ﴾ بصيغةِ الماضي؛ للدَّلالةِ على تحقُّقِ هذهِ الأفعالِ ووقوعِها؛ لأنَّها أحداثٌ ماضيةٌ، وقعَتْ وانقضَتْ، والقرآنُ يُخبرُ عنها.

بلاغةُ المجازِ في جملة: ﴿وَوَرِثَ﴾:

الخلافةُ في المُلْك والنُّبوَّة، كانتقالِ مِلْكِ الأموالِ بالإرث

كانَ داودُ عليه السلام مَلِكًا على بني إسرائيلَ، ودامَ مُلْكُهُ أربعينَ سنةً، فخلفَهُ سليمانُ، فهو وارثُ مُلْكِهِ، والقائمُ في مقامِهِ في سياسةِ الأُمَّةِ ونُبوَّةِ بني إسرائيلَ، فالإرثُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾ مُستعمَلٌ في معناهُ المجازيِّ على سبيلِ الاستعارةِ، وذلكَ بتشبيهِ الأحوالِ الجليلةِ بالمالِ، وتشبيهِ الخلافةِ بانتقالِ مِلْكِ الأموالِ؛ لظهورِ أنَّ غرضَ الآيةِ ليس إفادةَ مَنِ انتقلَتْ إليهِ أموالُ داودَ بعدَ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 437.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 235.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 139.

قولِه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًاۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، فتعيَّنَ أنَّ إرثَ المالِ غيرُ مقصودٍ، فإنَّهُ غرضٌ تافهٌ[1].

سِرُّ التَّعبيرِ بالوِراثةِ في ﴿وَوَرِثَ﴾:

عُبِّرَ بالوِراثةِ عن انتقالِ المُلْكِ والعلمِ والنُّبوَّةِ في قولِه تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾ دون غيرِها من الألفاظ نحو الإعطاء والهبة؛ لأنَّ الوِراثة أقوى لفظٍ يُستعمَلُ في التَّمليكِ والاستحقاقِ[2].

الـوِراثـةُ أقـوى لفظٍ يُستعمَلُ فـي التَّـمـليـكِ والاستحقاقِ

دلالةُ قولِ سليمانَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾:

قولُ سليمانَ عليه السلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾، مُتضمِّنٌ شكرَ اللهِ تعالى على ما منحَهُ مِنْ علمٍ ومُلْكٍ، وليقدرَ النّاسُ قَدْرَهُ، ويَعلَموا واجبَ طاعتِه؛ إذ كانَ اللهُ قد اصطفاهُ لذلكَ، وأطلعَهُ على نيّات الحيوانِ، فما ظنُّكَ بمعرفةِ نيّات النّاسِ مِنْ رعيَّتِه وجندِه، فإنَّ صلاحَ المملكةِ بالتفافِ النّاسِ حولَ مَلِكِهم، وصفاءِ النّيّاتِ نحوَهُ، وبمقدارِ ما يحصلُ ذلكَ مِنْ جانبِهم يكونُ التَّعاونُ على الخيرِ، فلمّا حصلَ مِنْ جانبِ سليمانَ الاعترافُ بهذا الفضلِ للهِ تعالى، فقد أدَّى واجبَهُ نحوَ أمَّتِه، فلم يَبْقَ إلّا أنْ تُؤدّيَ الأمَّةُ واجبَها نحوَ مَلِكِها[3].

إخـبـارُ الـنّـاس بـفـضـل الـلـهِ المبين، وما أعطى سليمان من دون الآخرين

غرضُ التَّعبيرِ بالنِّداءِ في السّياق:

جيءَ بالنِّداءِ في قولِ سليمانَ عليه السلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ الآيةَ؛ لِما في النِّداءِ مِنَ الإيقاظِ والتَّنبيهِ لأهمّيَّةِ ما يُتلَى مِنَ الكلامِ الآتي بعدَهُ، وفي ذلكَ دليلٌ على أنَّ سليمانَ عليه السلام قد قالَ هذا الكلامَ في مَجْمَعٍ عظيمٍ من النّاسِ، الذين كانوا في مجلسِه من

التَّنبيهُ في سياق النِّداء، لأهمّيَّةِ الـكـلامِ المُلْقَى إليهِم

(1) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 253، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 253.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 358.
(3) الزمخشري، الكشاف: 3/ 353، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 236.

الخاصَّة والعامَّة؛ لأنَّ الغرضَ تبليغُهُ لجميعِهم؛ للإعلانِ بشكرِ اللهِ تعالى، وحثِّ النّاسِ على الطّاعةِ والامتثالِ[1].

سِرُّ التَّعبيرِ بنداء ﴿ٱلنَّاسُ﴾ دون (المؤمنين):

خطابُ جميع المخاطَبين، لتوسيع الإعلان وشموله

عبَّر القرآنُ الكريم بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ في قوله جلَّ شأنُهُ: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾ دون (يا أيها الذين آمنوا)؛ لأنَّ المُراد عُمومُهُ لجميع الَّذينَ هم أهلٌ للتَّخاطُب سواءٌ كانوا مؤمنين أم غير مؤمنين أن يشهدوا هذه النِّعمَ؛ لأنَّ المقصودَ إظهارُ نعمةِ اللهِ، والدَّعوةُ إلى التَّصديقِ بالمعجزاتِ، وهذا أمرٌ يتعلَّقُ بجميعِهم، وقيلَ: المُرادُ بهِ: رُؤَساءُ مملكتِهِ وعُظَماءُ دولتِهِ مِنَ الثَّقَلينِ وغيرِهم، والتَّعبيرُ عنهُم بما ذُكِرَ للتَّغليبِ، وقيلَ: المرادُ بهِ: أهلُ العلمِ؛ لأنَّهم هم النّاسُ حقيقةً[2].

وممّا يُذكر في سِرِّ التَّعبير بلفظ ﴿ٱلنَّاسُ﴾ - الذي يدلُّ على العموم - الإشارةُ إلى إعلان هذه الشهادة أمام الجميع، ويكون ذلك من باب الإعلان، والتَّحدُّث بنعم الله تعالى وعظيم فضله، فيما منحه من تعليم منطق الطير وغيره من عظائم الأمور؛ لأنَّ المُنعمَ عليه مأمورٌ بالتحدُّث بنِعَمِ اللهِ[3].

دلالةُ التَّعبيرِ بالمبنيِّ للمفعولِ في الآية:

العلمُ بالفاعل المُعظَّم يغني عن ذكر الله الأعظمِ

بُنيَ الفِعْلان ﴿عُلِّمۡنَا﴾ و﴿وَأُوتِينَا﴾ في قولِهِ تباركَ شأنُهُ: ﴿عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ﴾ للمفعولِ، وحُذِفَ الفاعلُ - وهو اللهُ تعالى - للعلمِ بهِ[4]، فإنَّهُ لا يقدرُ على ذلكَ غيرُهُ جلَّتْ قُدرتُهُ[5]، وفيه إشارة إلى تواضُعهما واعترافهما بأنَّهما تلقّيا العلم من ربِّهما، ولم ينسباه إلى نفسهما.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 236.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 167.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 359.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 218.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 140.

سرُّ إسنادِ الفعلِ إلى ضميرِ العظَمةِ:

إبــرازُ سليمانَ لصفتهِ كملك عظيم، يظهر ما حباه الله

أُسنِدَ الفعلان ﴿عُلِّمْنَا﴾، ﴿وَأُوتِينَا﴾ إلى ضمير العظمة، في قوله تعالى: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾، وظاهر هذا الإسنادِ الدَّلالة على التَّكبُّر، وهذا لا يليق بمقام الأنبياءِ، وجوابُ ذلك من وجهَيْن، **أحدُهما**: أنْ يريدَ نفسَهُ وأباهُ. **والثّاني**: أنَّ هذهِ النّونَ يُقالُ لها: نونُ الواحدِ المُطاعِ، وكانَ مَلِكًا مُطاعًا، فكلَّمَ أهلَ طاعتِهِ على صفتِهِ وحالِهِ الَّتي كانَ عليها، وليسَ التَّكبُّرُ مِنْ لوازمِ ذلكَ، وقد يتعلَّقُ بتفخُّمِ المَلِكِ وإظهارِ سياستِهِ مصالحُ، فيصيرُ ذلكَ التَّعظيمُ واجبًا[1].

بلاغةُ الاستعارةِ في ﴿مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾:

علـمُ سُليمان لمنـطـق الـطَّـير يـقـينٌ، لا ظـنٌّ وتخمين

في استعمالِ المنطقِ في قولِهِ تعالى: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ براعةٌ، وذلكَ أنَّ النُّطقَ والمنطقَ في العُرْفِ: كلُّ لفظٍ يُعبَّرُ بهِ عمّا في الضَّميرِ، مُفرَدًا كانَ أو مُركَّبًا، وقد يُطلَقُ على كلِّ ما يُصوَّتُ بهِ على سبيلِ التَّشبيهِ[2]، وهو إمّا تشبيهُ الصَّوتِ بالنُّطقِ، فيكون استعارةً تصريحيَّةً، أو تشبيهُ المُصوِّتِ بالإنسانِ، فيكونُ استعارةً بالكنايةِ، وإثباتُ النُّطقِ لها تخييلٌ[3]، أو على سبيلِ التَّبَعِ[4]، أي: المشاكلةِ التَّقديريَّةِ[5].

وممّا يُذْكرُ في ذلك أيضًا أنَّ سليمان عليه السلام، لم يقف الأمر عنده على مجرَّد فَهْم صوت الطَّير، بل تعدّاه إلى اختلاف دلالات الأصوات، باختلاف الأحوال والعوارض، التي تعتري الطير من الجوع والألم ونحو ذلك[6].

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 354، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 548.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 154.
(3) الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 37.
(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 154.
(5) الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 37.
(6) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 361/ 14.

دلالةُ (أل) في لفظ ﴿ٱلطَّيۡرِ﴾:

إفادةُ العموم، منبئةٌ عن المعنى المراد في السّياق

اللّامُ ﴿ٱلطَّيۡرِ﴾ في قولِهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾؛ للجنسِ، والمُرادُ: عُلِّمْنا منطقَ جنسِ الحيوانِ المُسمَّى بالطَّيرِ، فيفيدُ الكلامُ العُمومَ[1].

سرُّ تعليمِ منطقِ الطَّيرِ دون غيره:

مَنْ عَلِمَ منطقَ الطَّيرِ؛ علِمَ منطقَ غيرِهِ من باب أولى

اقتصر القرآنُ الكريمُ على ذِكْرِ تعليمِ مَنطِقِ الطَّيرِ، في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾، معَ أنَّ سليمانَ ﷺ عُلِّمَ منطقَ جميعِ الحيواناتِ - كما في سماعه لحديث النَّمل - لأنَّهُ كانَ جندًا مِنْ جنودِ سليمانَ يحتاجُهُ في التَّظليلِ عن الشَّمسِ، وفي البعثِ في الأمورِ، فخُصَّ لكثرةِ مداخلتِهِ، ولأنَّ أمرَ سائرِ الحيوانِ نادرٌ وغيرُ مُتردِّدٍ ترددَ أمرِ الطَّيرِ[2].

وقيلَ: إنَّ الاقتصار على منطقِ الطَّيرِ إيجازٌ؛ لأنَّهُ إذا عُلِّمَ منطقَ الطَّيرِ - وهي أبعدُ الحيوانِ عن الرُّكونِ إلى الإنسانِ وأسرعُها نُفورًا منهُ - فمنطقُ ما هو أكثرُ اختلاطًا بالإنسانِ حاصلٌ لهُ بالأَحْرى، كما يدلُّ عليهِ قولُهُ تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوۡلِهَا﴾، فتدلُّ هذهِ الآيةُ على أنَّهُ عُلِّمَ منطقَ كلِّ صنفٍ مِنْ أصنافِ الحيوانِ[3].

دلالةُ الواوِ في جملة: ﴿وَأُوتِينَا﴾:

من أوتي خيرًا من الله؛ أغناه الله وكفاه

الواوُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَأُوتِينَا﴾ عاطفةٌ لهذهِ الجملةِ، على جملةِ ﴿عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾، فتفيدُ التَّشريكَ بينَهما، في كونِهما مِنْ إخبارِ سليمانَ ﷺ للنّاسِ، بما خصَّهُ اللّهُ تعالى بهِ.

دلالة استعمالِ ﴿مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ﴾:

دلَّ التَّعبيرُ بقوله ﷺ: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ﴾، على الكثرة، وهو

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 217.
(2) ابن عطية، المحرّر الوجيز: 4/ 253.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 19/ 236.

في ظاهرِهِ يدلُّ على العُموم، ولكنَّ المُرادَ الخُصوصُ، أيْ: مِنْ كلِّ شيءٍ يَصلُحُ لنا، ونتمنّاهُ، وأُريدَ بهِ كثرةُ ما أوتيَ، فكأنَّهُ مُستغرِقٌ لجميعِ الأشياءِ[1]، كقولِكَ: فلانٌ يقصدُهُ كلُّ أحدٍ، ويعلمُ كلَّ شيءٍ، تريدُ كثرةَ قُصّادِهِ وغزارةَ علمِهِ[2]، وذلكَ لأنَّ الكلَّ والبعضَ الكثيرَ يشتركانِ في صفةِ الكثرةِ، والمشاركةُ سببٌ لجوازِ الاستعارةِ، فلا جَرَمَ يُطلَقُ لفظُ الكلِّ على الكثيرِ[3]، وقد يكونُ إطلاقُ الكلِّ على الكثيرِ كنايةً[4]، وأيًّا ما كانَ فالتَّعبيرُ بأداةِ الاستغراقِ تعظيمٌ للنِّعمةِ[5]، وبناءً على ما سبقَ تكونُ ﴿مِن﴾ صلةً، وهو المناسبُ لمقامِ التَّحدُّثِ بالنِّعَمِ[6].

الدَّلالةُ على الكثرةِ والخصوص لا على العُموم

سرُّ فصلِ جملة تأكيدِ الفضل:

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّه استئنافٌ تقريريٌّ لقولِهِ تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا﴾ الآية، والمقصودُ منهُ الشُّكرُ والمَحْمَدَةُ[7]. والتَّأكيدُ في هذه الجملة بحرفِ التَّوكيدِ ﴿إِنَّ﴾ ولامِهِ – الَّذي هوفي الأصلِ لامُ قَسَمٍ –، وبضميرِ الفصلِ، مقصودٌ بهِ تعظيمُ النِّعمةِ؛ أداءً للشُّكرِ عليها بالمستطاعِ مِنَ العبارةِ[8].

الاعترافُ بالفضلِ والتَّفضيل شكرٌ ومحمدة

دلالةُ اسمِ الإشارةِ ﴿هَٰذَا﴾:

الإشارةُ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ راجعةٌ إلى ما ذُكِرَ مِنَ التَّعليمِ والإيتاءِ[9]، ولذلكَ أُفرِدَ اسمُ الإشارةِ. وعُبِّرَ باسمِ الإشارةِ ﴿هَٰذَا﴾؛ لتنزيلِ المُشارِ إليهِ منزلةَ المحسوسِ المُشاهَدِ،

تعيينُ الفضلِ المبين، كأنَّه مشارٌ إليه مستبين

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 217.
(2) الزمخشري، الكشاف: 3/ 354.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 548.
(4) الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 38، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 168.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 140.
(6) الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 38، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 168.
(7) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 548.
(8) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 141، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 238.
(9) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 277، والآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 168.

وعُبِّرَ بإشارةِ القريبِ؛ لبيانِ أنَّ هذهِ النِّعمةَ العظيمةَ حاضرةٌ قريبةٌ مِنْ قلبِهِ، وهي على ذُكْرٍ منهُ.

سِرُّ التَّعبيرِ بالفضلِ دون غيرِه:

آثرَ القرآنُ الكريم التَّعبيرَ بالفضل دون غيره في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾؛ لأنَّ الفضل يُطلق على الزّيادة من جنس الشَّيء أو نوعه، وهذا ما فضَّل الله به داود وسليمان ﷺ على كثيرٍ من المؤمنين فيما آتاهما من العلم وتعليم منطق الطَّير إلى غير ذلك مما امتنَّ الله به عليهما، ولأنَّ الفضلَ عطاءٌ بلا سببٍ، وهذا يصدق على إيتاء النُّبوَّة والعلم لهما، فهما محضُ فضلٍ من الله؛ لذلك كان التَّعبير بالفضل.

الفضلُ عطاءٌ بلا سببٍ، وإغداقٌ من الله على من يحبُّ

سرُّ تعريفِ الطَّرفيْنِ:

جيءَ بالمُسنَدِ إليهِ ﴿هَٰذَا﴾ والمُسنَدِ ﴿ٱلْفَضْلُ﴾ معرفتَيْنِ في قولِ الحقِّ تباركَ شأنُهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾؛ لإفادةِ القصرِ، وبيانِ أنَّ المُشارَ إليهِ - وهو التَّعليمُ والإيتاءُ - لا غيرَهُ هو الفضلُ المُبينُ، وفي ذلكَ مزيدُ ملاءمةٍ لمقامِ إظهارِ سليمانَ ﷺ نعمةَ اللهِ عليهِ، ومقامِ تأديةِ حقِّ اللهِ عليهِ في شُكْرِها.

ملاءمةُ إظهارِ سليمانَ نعمةَ اللهِ، ومقامِ تأديةِ شُكْرِها

دلالةُ اللّامِ في لفظ ﴿ٱلْفَضْلُ﴾:

اللّامُ ﴿ٱلْفَضْلُ﴾ في قولِهِ تقدَّسَ شأنُهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾؛ للجنسِ، وهي تفيدُ بمعونةِ القصرِ أنَّ المُشارَ إليهِ لا غيرَهُ هو الفضلُ، وهذا قصرٌ ادِّعائيٌّ للمبالغةِ، كأنَّهُ قيلَ: إنْ سمعتَ بالفضلِ المُبينِ، وأردتَ أنْ تعرفَ ما هو؛ فهو المُشارُ إليهِ.

إفادةُ أنَّ المُشارَ إليهِ لا غيرَهُ هو الفضلُ

سِرُّ وصفِ الفضلِ بكونهِ مُبينًا:

وُصِفَ الفضلُ في قولِ اللهِ سبحانَهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ بكونِهِ مُبينًا؛ للمبالغةِ في ظُهورِهِ وعظيمِ شأنِهِ، والمعنى: إنَّ هذا لهو الفضلُ المُبينُ الَّذي لا يَخْفَى على أحدٍ[1]، فهو ظاهرٌ لكلِّ مَنْ ينظرُهُ[2].

المبالغةُ في ظُهورِ الفضلِ، وعظيمِ شأنِهِ

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 157، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 277.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 141.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإيتاءُ والإعطاءُ:

الإيتاءُ أقوى مِنَ الإعطاءِ، وغالبًا ما يكون الإيتاءُ في عظائم الأمور

فُرِّقَ بينَ الإيتاءِ والإعطاءِ مِنْ وجوهٍ، منها: أنَّ في الإعطاءِ دليلَ التَّملُّكِ دونَ الإيتاءِ، ويُؤيِّدُهُ قولُهُ سبحانَهُ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: 1]، فإنَّ لهُ مَنْعَ مَنْ شاءَ منهُ، كالمالكِ للمِلْكِ، وأمّا القرآنُ؛ فحيثُ إنَّ أمَّتَهُ مُشاركونَ لهُ في فوائدِهِ، قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ۝٨٧﴾ [الحجر: 87][1].

ومنها: أنَّ الإيتاءَ أقوى مِنَ الإعطاءِ في إثباتِ مفعولِهِ؛ لأنَّ الإعطاءَ لهُ مُطاوِعٌ، تقولُ: أعطاني، فعَطَوْتُ، ولا يُقالُ في الإيتاءِ: آتاني، فأتيتُ، وإنَّما يُقالُ: آتاني، فأخذتُ، والفعلُ الَّذي لهُ مُطاوِعٌ أضعفُ في إثباتِ مفعولِهِ مِنَ الفعلِ الَّذي لا مُطاوِعَ لهُ، كما أنَّ الإيتاءَ يُستعمَلُ في الأشياءِ العظيمةِ، كالقرآنِ والحكمةِ والمُلْكِ[2]، وفي الإيتاءِ معنى الوجوبِ والإلزامِ، وأمّا الإعطاءُ؛ ففيهِ معنى التَّفضُّلِ والإكرامِ[3]، ولعلَّ ذلكَ في الأعمِّ والأغلبِ، وإلّا فقد يقترنُ الإيتاءُ بالتَّفضُّلِ أيضًا، كما في إيتاءِ المُلْكِ والقرآنِ والحكمةِ، ثمَّ أنَّ الإعطاءَ يكونُ في الأشياءِ المادّيَّةِ، وأمّا الإيتاءُ؛ فيكونُ في الأشياءِ المادّيَّةِ والمعنويَّةِ[4]، وممّا يُذكرُ في الفرقِ بينَ الإيتاءِ والإعطاءِ: أنَّ الإيتاءَ يكونُ عن حُبٍّ ورغبةٍ؛ بخلافِ الإعطاءِ فقد يكونُ عن كراهيةٍ وسخطٍ، قالَ تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ۝٢٩﴾ [التّوبة: 29].

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 86.
(2) زيدان، الفروق اللغوية، ص: 248.
(3) زيدان، الفروق اللغوية، ص: 248 - 249.
(4) زيدان، الفروق اللغوية، ص: 251.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والثلاثون،
سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 39 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-84-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 39 : المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-84-6
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8468153 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»